143543 ـ تفسير قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)

السؤال

ما تفسير قوله تعالى " تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً" الفرقان 61

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قال الله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)

الفرقان / 61

وقال تعالى : (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) الحجر / 16

وقال عز وجل : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) البروج/1

فأما قوله عز وجل : (تبارك) فمعناه : تعالى ، وكثر عطاؤه ، واتسعت بركته .

فتَبَارَكَ : مأخوذ من البركة المستقرة الدائمة الثابتة ، وهي الكثرة والاتساع . يقال : بورك الشيء وبورك فيه ، وقال الأزهري : " تبارك " تعالى وتعاظم وارتفع .

وقيل : المعنى دام وثبت إنعامه . قال النحاس : وهذا أولاها في اللغة والاشتقاق ؛ من برك الشيء إذا ثبت ؛ ومنه برك الجمل والطير على الماء ، أي دام .

فاستحق الرب تعالى الشكر والتعظيم والثناء على نعمه .

راجع : "تفسير ابن كثير" (6 / 92) – "الجامع لأحكام القرآن" (7 / 223) ـ (13 / 1)

"فتح القدير" (3 / 683) .

فهذه الصيغة (تبارك) تفيد المبالغة في وفرة الخير ، وأن ما عُدّد من نعم الله تعالى وإفضاله لا تحيط به العبارة ، فعبّر عنه بهذه المبالغة إذ هي أقصى ما تسمح به اللغة في التعبير ، ليعلم الناس أنهم محقوقون لله تعالى بشكرٍ يوازي عظم نعمه عليهم .

"التحرير والتنوير" (27 / 277) ـ (29 / 9) .

ـ أما قوله تعالى : (الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)

فالبروج : قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي : البروج : النجوم .

"تفسير ابن كثير" (8 / 363) .

قال الشيخ السعدي رحمه الله :

" يقول تعالى ـ مبينا كمال اقتداره ورحمته بخلقه ـ : (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) أي : نجوما كالأبراج ، والأعلام العظام ، يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر (وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي ، والهيئة العجيبة ، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها ، والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها " انتهى .

"تفسير السعدي" (1 / 430)

وقيل : البروج : منازل النجوم ، قال الشوكاني رحمه الله :

" المراد بالبروج : بروج النجوم : أي منازلها ، وقيل هي النجوم الكبار ، والأول أولى ، وسميت بروجا ، وهي القصور العالية ، لأنها للكواكب كالمنازل الرفيعة لمن يسكنها .

واشتقاق البرج من التَبَرُّج ، وهو الظهور " انتهى .

"فتح القدير" (4 / 122)

وقال القرطبي رحمه الله : (بُرُوجاً) أي منازل .

"الجامع لأحكام القرآن" (13 / 65)

وينظر : "تفسير الطبري" (24/332) ـ "التحرير والتنوير" (5 / 128)

ـ و(سراجا) : هي الشمس . و (قمرا منيرا) أي مضيئا .

قال ابن كثير رحمه الله :

" (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) وهي الشمس المنيرة ، التي هي كالسراج في الوجود ، كما قال :

(وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا) النبأ / 13 .

(وَقَمَرًا مُنِيرًا) أي : مضيئا مشرقا بنور آخر ، ونوع وفن آخر ، كما قال : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا) يونس / 5 ، وقال مخبرا عن نوح ، عليه السلام ، أنه قال لقومه: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) نوح / 15 ـ16 .

"تفسير ابن كثير" (6 / 120)

ومعنى الآية في الجملة : تعالى الله وتعظّم وكثر عطاؤه وثبت إنعامه سبحانه على خلقه ، الذي زين بفضله السماء الدنيا بتلك النجوم والكواكب الكبار العظام ، والشمس والقمر المنيرين بالليل والنهار ، جعل ذلك من تمام بركته على خلقه ، واتساع نعمته ووفرة جوده وكرمه ؛ ليتأملوا ما فوقهم من دلائل عظمته ، وما هم فيه من موفور كرمه وعظيم منته ، عسى أن يؤمنوا بربهم ويشكروا له .

والله تعالى أعلم .